﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرَۢا ١٧﴾ [الإسراء: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إهلاكُ اللهِ تَعالى لِلمُخالِفينَ مُشاهَدٌ في الواقِعِ

لَمّا بيَّنَ اللّهُ تَعالى أنَّهُ يُهْلِكُ أهلَ قريةٍ؛ إذا انتشرَ فيهم الفِسْقُ، وعَمَّ فيهم مخالفةُ أوامرِ اللهِ سُبحانَهُ؛ بيَّن في هذه الآيةِ أنَّه قد فعلَ ذلك الإهلاكَ بمَنْ لا يُحصيهم العَدُّ مِنَ القُرونِ؛ إذِ الاعْتِبارُ بالمُشاهَدِ أوقَعُ في القَلْبِ وأهولُ عِنْدَ النَّفْسِ، فقالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرَۢا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡقُرُونِ﴾: القافُ والرّاءُ والنّونُ تدورُ اشتقاقاتُها على مَعْنَيَيْن كُلّيَّين؛ أحدهما: جمعُ شيءٍ إلى شيءٍ، والآخَرُ: شيءٌ يَنْتَأُ بقوّةٍ[2].

ومِنَ الثّاني: قَرْنُ الحيوانِ؛ لكونِهِ ناتئًا في أعلى رأسِهِ، ومِنْهُ قيلَ لسيِّدِ القَوْمِ: قَرْنٌ - عَلى وَجْهِ الاستعارَةِ - لعِظَمِ قَدْرِهِ وظهورِهِ مِنْ بينِ النّاسِ، ومِنْه أيضًا سُمّيتِ الأُمَّةُ التي تأتي بعدَ الأُمّةِ: قَرْنًا؛ وهي جيلٌ نشأَ بعد آخرَ؛ كأنَّها دَفعَةٌ مِن النّاسِ خارجةٌ أو ناشئةٌ بَعْدَ أخرى[3].

ويجوزُ أن يكونَ سببُ تسميةِ الجيلِ قَرْنًا؛ مِنَ الاقترانِ وهو اجْتِماعُ شَيْئَيْنِ أو أشياءَ، وذلك لأنَّ أفرادَ الجيلِ اقْتَرنوا في زمنٍ واحدٍ[4]، وهذا المَعْنى للقَرْنِ هوَ المرادُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 393.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرن).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قرن).
(4) الرّاغب، المفردات: (قرن).

2) ﴿خَبِيرًا﴾: الخاءُ والباءُ والرّاءُ تدلُّ يدلُّ كثيرٌ مِنْ تَصْريفاتِها عَلى مَعْنى العِلْمِ، تقولُ: لي بفلانٍ خِبْرَةٌ، أي: عِلْمٌ[1]، وحقيقةُ الخُبْرِ: العِلْمُ بالشَّيء عَلى حَقيقتِهِ[2].

والخَبيرُ مِن أسماءِ اللّهِ سُبحانَهُ: العالِمُ بِبَواطِنِ الأُمورِ، والمُطَّلِعُ عَلى السَّرائرِ والضَّمائرِ والخَفايا[3].

3) ﴿بَصِيرًا﴾: الباءُ والصّادُ والرّاءُ تدلُّ يدلُّ أكثرُ اشتقاقاتِها على العِلْمِ بالشَّيءِ، يقال: هو بصيرٌ به، أي: عليمٌ[4]، ومِنْهُ إطلاقُ البصَرِ على الإدراكِ بالعَيْنِ والإدراكِ بقوَّةِ القَلْبِ؛ إذْ بِكِلَيْهِما يحصلُ العلمُ[5].

والبصيرُ فعيلٌ بمعنَى مُفْعِلٍ، مثلُ أليمٍ بمعنى مُؤلِمٍ[6]، والبصيرُ مِنْ أَسْماءِ اللّه تعالى: الذي أَحاطَ بَصَرُهُ بِجَميعِ المُبْصَراتِ في أقطارِ الأَرْضِ والسَّماواتِ[7].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

كَثْرَةُ البَغْيِ وَاشْتِدادُ الكُفْرِ موجِبٌ للإِهْلاكِ

بيّن اللّه تعالى أنّ ما أصاب هؤلاء القومَ قد أصابَ غيرَهم من قبلُ، فتلك سنّةٌ ماضيةٌ في القومِ المُجرمين الذين فسقوا وتَمرّدوا على أوامرِ اللّه وأحكامِه، فقال: وَكَثيرًا ما أَهْلَكْنا مِنَ الأُمَمِ من بَعْدِ نَبيِّ اللّهِ تَعالى نوحٍ ﷺ وأَبَدْناهُمْ بالعَذابِ لَمّا كَثُر بَغْيُهُم، واشْتَدَّ كُفْرُهُم، وكَفى بِرَبِّكَ - أيُّها الرَّسولُ - أنَّه عالِمٌ بِجَميعِ أَعْمالِ عِبادِه، لا تَخْفى عليهِ خافيَةٌ[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خبر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خبر).
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 251.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بصر).
(5) الرّاغب، المفردات: (بصر).
(6) الزّجّاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 42.
(7) السّعديّ، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 174.
(8) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 455، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 283.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلالَةُ العَطْفِ بِالواوِ في: ﴿وَكَمْ﴾:

اسْتِقْلالُ الآيَةِ الكَريمَةِ بِوَقْعِ التَّحْذيرِ مِنْ جِهَةٍ مُغايِرَةٍ

بيَّنَ اللّهُ تَعالى في هذه الآيةِ أنَّه أهلكَ بالفِعْلِ قرونًا خالَفوا أوامرَ اللّهِ سُبحانَهُ؛ ليَكونَ ذَلِكَ أدخَلَ في التَّهديدِ الوارِدِ في الآيةِ قَبْلُ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾، فكانَتِ الآيةُ الثّانيةُ مُفرَّعَةً على التي قَبْلَها، ولِذا كانَ مُقْتَضى الظّاهِرِ أن تُعْطَفَ بالفاءِ الدّالَّةِ على التَّفريعِ، إلّا أنَّ النَّظْمَ القرآنيَّ آثرَ عَطْفَها بالواوِ؛ لإظهارِ استقلالِها بوقْعِ التَّحذيرِ مِنْ جِهَةٍ مباينَةٍ، فكان في هَذا العَطْفِ تخريجٌ للكلامِ على خلافِ مُقْتَضى الظّاهِرِ لهذا الاعتبارِ المناسِبِ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ﴿كَمْ﴾ الخبريّة:

الْمُبالَغَةُ في الوَعيدِ وَالتَّهْديدِ

تُستعمَلُ (كَمْ) في الأصلِ لإرادَةِ الاستفهامِ عَنِ العددِ، وتُستعمَلُ خبريَّةً للدّلالَةِ على عَدَدٍ كثيرٍ مُبْهَمِ النَّوْعِ، ولذا تَفْتَقِرُ إلى تمييزٍ لنوعِ هذا العَدَدِ، و﴿كَمْ﴾ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ خبريَّةٌ، والمرادُ: وكثيرًا ما أَهْلَكْنا، وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ تَمْييزٌ للإبهامِ الذي اقتضَتْهُ (كَمْ)[2].

وفي هذا التَّكثيرِ مبالغةٌ في الوعيدِ والتَّهديدِ؛ لأنَّه إذا كان اللّهُ سُبحانَهُ قد أهلكَ كثيرًا ممَّن خالف أَمْرَهُ، فحريٌّ بالمُهَدَّدينَ أن يُهلكَهُمْ كما أهلكَ مَن قبلَهُمْ.

دِلالَةُ ﴿مِنَ﴾ في: ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾:

الإهْلاكُ بِالعَذابِ المُسْتَأْصِلِ لَمْ يَسْتَغْرِقِ الأَزْمِنَةَ كُلَّها

﴿مِنَ﴾ الأولى في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ يُرادُ بها بيانُ (كَمْ) وتَمْييزُها؛ لأنَّ (كَمْ) مقتضيةٌ للإبهامِ، فجاءَ قولُهُ: ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ تَمْييزًا لَها، كَما يُميَّزُ العددُ بذِكْرِ الجِنْسِ بَعْدَهُ، وأمّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 56.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 163، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 56.

﴿مِنۢ﴾ في قولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾؛ فهيَ لابتداءِ الغايةِ، وللدّلالَةِ على أنَّ الإهلاكَ بالعَذابِ المُسْتَأْصِلِ لَم يَسْتَغْرِق أَزْمِنَةَ ما بَعْدَهُ[1].

دِلالَةُ التَّخْصيصِ بِـ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ تخصيصٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدُهما: التَّخصيصُ بذِكْرِ نبيِّ اللهِ تَعالى نوحٍ عليه السلام.

والآخَرُ: تخصيصُ الإهلاكِ بما بَعْدَ زمانِهِ عليه السلام - كما يَظْهَرُ بادئَ الرَّأي مِنْ صياغَةِ النَّظْمِ القرآنيِّ - مع أنَّ الإهلاكَ واقعٌ على قومِهِ أيضًا.

قَـوْمُ نـوحٍ عليه السلام هُـمْ أَوَّلُ قَـوْمٍ أُهْلِكوا بِالعَذابِ المُسْتَأْصِلِ

فأمّا الأوَّلُ، وهو التَّخصيصُ بذِكْرِ نوحٍ عليه السلام دونَ آدمَ، فلم يَرِدْ في النَّظْمِ القرآنيِّ: (مِنْ بعدِ آدمَ)؛ وذلك لأنَّ نوحًا عليه السلام هو أوَّلُ رسولٍ آذاهُ قَوْمُهُ، فَأَهْلَكَهُم اللهُ تَعالى بالعَذابِ المُسْتَأْصِلِ لَهُمْ.

وأمّا الآخَرُ؛ فإنَّ التَّخصيصَ الذي يدلُّ عليه ظاهِرُ النَّظْمِ غيرُ مرادٍ؛ إذْ ليسَ في ذِكْرِ البعديَّةِ تخصيصٌ، وإنَّما جاءَ النَّظْمُ القرآنيُّ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ مِنْ بابِ الإيجازِ، وأصلُ التَّركيب: (وكَمْ أَهْلَكْنا من القرونِ مِنْ قومِ نوحٍ فَمَنْ بَعْدَهُمْ)[2]، ويَقْرُبُ مِنْهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [النساء: 11]؛ فإنَّ معناه: (فإنْ كُنَّ نساءً، اثْنَتَيْنِ فما فوقُ).

بَلاغَةُ التَّذْييلِ في الآية:

في تذييل الآية بقولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ إشارةٌ إلى أنَّ ما تقدَّمَ مِن البَعْثِ والأمْرِ وما يَليهما مِنْ ذِكْرِ فِسْقِهم لا يُرادُ به تحصيلُ العِلْمِ بما صدَرَ عَنْهُم مِنَ الذُّنوبِ والآثامِ؛

إحاطَةُ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِأَعْمالِ العِبادِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 163، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 393، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 43، والشنقيطي، أضواء البيان: 3/ 81.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 43، وجمال الدّين القاسمي، محاسن التّأويل: 6/ 451، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 57.

إذْ إنَّ ذلك حاصِلٌ قَبْلَ ذلكَ، وإنَّما المقصودُ هو قَطْعُ عذرِهم وإلزامُهُمُ الحُجَّةَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ[1].

التَّعْبير بِالفِعْلِ ﴿وَكَفَىٰ﴾ وَبِوَصْفَيْ ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾:

مُـجـازاةُ اللـهِ تَعالى العِبادَ بِما يُناسِبُ فَظاعَةَ جَرائِمِهِمْ

في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ تعريضٌ بأنَّه تَعالى يُجازيهم بما يُناسِبُ فظاعَةَ جرائِمِهم، ولذا جيءَ بالفِعْلِ ﴿وَكَفَىٰ﴾ وبِوَصْفَيِ الخَبيرِ والبَصيرِ المُكنَّى بذِكْرِهما عَنْ عَدَمِ إفلاتِ شيءٍ مِن ذنوبِهم المعلومةِ من ضمائرهم أوِ المرئيَّةِ، وفي هذا التَّعبير أيضًا: إيماءٌ إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ غيرُ محتاجٍ إلى أحدٍ ينتصِرُ لَهُ إلّا ربُّهُ سُبحانَهُ، فهو حسبُهُ وكافيهِ[2].

دِلالَةُ الباءِ في: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾:

تَحْقيقُ كِفايَةِ اللهِ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ

الباءُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾، يُرادُ بها التَّأكيدُ، وتجيءُ مثلُ هذهِ الباءِ غالبًا في سياقِ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ، فكأنَّها في هذهِ الآيَةِ تُعْطي مَعْنى: اكْتَفِ بِرَبِّك، أَيْ: ما أَكْفاهُ في هَذا![3].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِاسْمِ اللهِ (الرَّبِّ)

مِنْ آثارِ الرّبوبيّة الإحْسانُ إلى العِبادِ بِالعَفْوِ عَنْهُمْ

اخْتيرَ اسْمُ اللهِ (الرَّبُّ) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾؛ لتضمُّنِهِ مَعنى الإحْسانِ؛ فإنَّ المرادَ بـ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾، أي: المُحْسِنِ إلَيْكَ بالعَفْوِ عَن أُمَّتِكَ، وتَرْكِ مُعاقَبَتِهِم عِقابَ الاسْتِئْصالِ، فاسمُ الرَّبِّ أَنْسَبُ للدِّلالَةِ عَلى هَذا المَعْنى[4].

سِرُّ تَقْديمِ ﴿بِذُنُوبِ﴾ عَلى ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾:

عِلْمُ اللهِ تَعالى لا يَعْزُبُ عنه شيءٌ من أعمال العباد

الجارُّ والمَجْرورُ ﴿بِذُنُوبِ﴾ متعلِّقانِ بـ ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، وقُدِّما عَلى مُتَعَلَّقِهما؛ للدِّلالَةِ عَلى كَمالِ العِنايةِ، وللإيماءِ إلى أنَّ العِلْمَ بِذُنوبِ العِبادِ كانَ دَقيقًا مُبْصَرًا، وفي ذَلِكَ غايَةُ البيانِ عَلى أنَّه لا ظُلْمَ فيهِ[5].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 44.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 57.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 445.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 394.
(5) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4355.

دِلالَةُ تَقْديمِ الخَبيرِ عَلى البَصيرِ:

دِقَّـةُ البَيـانِ القُـرْآنِيِّ في التَّصَرُّفِ بِالأَلْفاظِ تَقْديمًا وَتَأْخيرًا

قُدِّم الخبيرُ عَلى البصيرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾؛ لِنكاتٍ[1]:

أولاها: لأنَّ متعلَّقَ الخبيرِ الاعْتقاداتُ والنّيّاتُ - إذِ الخبيرُ هو العالمُ ببَواطِنِ الأمورِ - والنّيّاتُ متقدِّمَةٌ؛ إذْ هيَ مبادِئُ الأعمالِ الظّاهِرةِ، فيكون التَّقديمُ وُجوديًّا.

ثانيها: أنَّ الخبيرَ متعلِّقٌ بالضَّمائرِ والنّيات والاعتقاداتِ؛ وهيَ أصلُ الأعمالِ في الفسادِ والصَّلاح.

ثالثُها: أنَّ متعلِّقاتِ الخبير أعمُّ مِنْ مُتَعَلِّقاتِ البصير؛ إذِ الخَبيرُ يتعلَّق بالمعلومِ ولَوْ لَم يَكُنْ مُبْصَرًا.

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ:

إحاطَةُ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِأَعْمالِ العِبادِ ظاهِرِها وَباطِنِها

قال اللهُ ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: 31]، وخُصَّت كلُّ آيةٍ بما فيها مِنَ التَّمييزِ؛ لأنَّ الآيةَ الأولى صُدِّرت بقولِهِ تَعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ﴾، فلمّا كانَ الهلاكُ بِسَبَبِ الذُّنوب التي ارتكَبها هؤلاءِ لا لأمْرٍ آخَرَ؛ ناسبَهُ قولُه تَعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾، ولَمّا كانتِ الذُّنوبُ منها ما هوَ خَفيٌّ، ومِنْها ما هوَ ظاهرٌ؛ ناسبَهُ خَتْمُ الآيةِ بالاسْمَيْنِ الدّالَّيْنِ عَلى الإحاطَةِ بِهَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ مِنَ الذُّنوب، فقال ﷻ: ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

وأمّا آيةُ سورَةِ الفُرْقانِ؛ فقَدْ صُدِّرَت بقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ﴾ [الفرقان: 31]، ولَمّا كانَ ذلك مِمّا يُحْزِنُ النَّبيَّ ﷺ؛ ناسَبَهُ أن يُسَرّى عَنْهُ بِبَيانِ أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هوَ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 163، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 43، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 57.

هادي المُتَّقين وناصِرُهم، فقالَ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: 31].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الذُّنوبُ وَالآثامُ:

الذَّنْبُ أَعَمُّ مِنَ الإِثْمِ

الذُّنوبُ جَمْعُ ذَنْبٍ، وهوَ في اللُّغةِ: الجُرْمُ والمعصيَةُ، أمّا الآثام؛ فجمْعُ: إثم؛ وهو في اللُّغةِ يدلُّ على البُطْءِ والتَّأخُّر عنِ الخَيْرِ، مِنْ قولهم: ناقَةٌ آثِمَةٌ، أي: متأخِّرةٌ في سَيْرِها، وذلك لأنَّ صاحِبَ الإثْمِ بطيءٌ عَنِ الخيرِ مُتَأخِّرٌ عَنْهُ.

وقد جاءَ الذَّنْبُ في القُرآنِ الكريم مُفْرَدًا ومَجْموعًا، فمِنَ الأوَّل قولُ اللّه تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: 40]، وقولُه سُبحانَهُ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: 11]، ومن الآخَرِ قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: 11]، وقولُهُ تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: 6].

وتدلُّ استعمالاتُ لفظِ الذَّنْبِ في القُرآنِ الكَريم عَلى أنَّ الذَّنْبَ أعمُّ مِنَ الإثْمِ والخَطيئَةِ والسَّيِّئَة والحوبِ ونحوِها؛ لِشُمولِه الصَّغائرَ والكَبائِرَ، كَما يَعُمُّ كُلَّ أَمْرٍ لا تُحمَدُ عقباهُ، كَما قالَ اللّهُ تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء: 14]، فجَعَلَ لَهُم عَلَيْهِ ذَنْبًا، أي: جِناية تُسْتَوْخَمُ عُقباها عِنْدَهُم، وغالبُ اسْتِعْمالاتِ الذَّنْبِ خاصَّةٌ بِما يكونُ بَيْنَ العَبْدِ وربِّه.

وأمّا الإثمُ؛ فقَدْ وَرَدَ في القُرآن الكَريم في مَواضِعَ، مِنْها: قولُ اللّهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 33]، وقولُهُ سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: 58]، وقولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]، وغيرُ ذلك.

وتدلُّ استعمالاتُ لفظةِ الإثم في القرآن الكريم على أنَّ الإثم فِعْلٌ قبيحٌ مُتَعَمَّدٌ تنفرُ مِنْهُ النَّفْسُ ولا يطمئنُّ إليهِ القَلْبُ، وهوَ مِمّا يوجِبُ الذَّمَّ واللَّوْمَ، كما أنَّه يشمَلُ الصَّغائرَ والكبائرَ، واستعمالُها في الكبائرِ أَغْلَبُ[1].

العِبادُ والعَبيدُ:

غالِبُ استِعمالِ (العِبادِ) في الطّائِعينَ للهِ تَعالى، وَغالِبُ استِعمالِ (العَبيدِ) فيما يُقابِلُ الأَحْرارَ

العبادُ والعبيدُ كلاهما جمعُ عَبْدٍ، إلّا أنَّ العبادَ جَمْعُ عَبْدٍ؛ الذي هوَ العابِدُ، أمّا العبيدُ؛ فهو جَمْعُ (عبْدٍ) الذي هوَ خلافُ الحُرِّ.

وأمّا في الاستعمالِ القُرآنيِّ، فَيَرِدُ لفظُ (العباد) للإيماءِ إلى عِباد اللّه الطّائعين المُخْلِصينَ لَهُ العبادَةَ غالبًا، ولذا يَنْسِبُهُم اللّهُ سُبحانَهُ إليهِ تشريفًا لَهُمْ، كما في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: 42]، وقولِه سُبحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105]، ومِنْ غيرِ الغالبِ قولُهُ تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾، وفي هَذا إيماءٌ إلى أنَّ ذُنوبَهُم خالَفَت ما يَنْبَغي أَن يَكونوا عَلَيْهِ مِنْ سُلوكِ سَبيلِ الطّاعَةِ.

وأمّا لَفْظُ (العبيد)؛ فهوَ في الأصلِ دالٌّ على المُسْتَعْبَدينَ مِنَ النّاسِ، وهُم أقَلُّ مَرْتَبةً مِنَ الأحرارِ في مَقاييسِ المُجْتَمَعاتِ، ولذا يُستعمل هذا الجَمْعُ في القرآنِ الكريم غالبًا في مَوضعِ التَّحقير وتصغير الشَّأن، كما في قولِ اللّه تَعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[2] [آل عمران: 181 - 182].

(1) محمَّد محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 31 - 41.

(2) الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص: 308 - 309.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»